

بسم الله الرحمن الرحيم

لندن - القدس العربي :

أدى بيان أصدرته مجموعة من المثقفين السعوديين نهاية الشهر الماضي رداً على بيان أمريكي أصدره مثقفون وأكاديميون أمريكيون في أعقاب الهجمات على أيلول (سبتمبر) الماضي لجدل واسع في صفوف الإسلاميين السعوديين أو التيار السلفي، وانقسم الإسلاميون بين مؤيد ومعارض للبيان. ويعبر البيان الذي وقع عليه مائة وخمسون باحثاً وعالمياً وأستاذاً جامعياً عن وجهة نظر إسلامية - ليبرالية الطابع عن البيان الأمريكي الذي صدر قبل فترة من بيان السعوديين. وكان من أهم الموقعين عليه الشيخ بن جبرين، وسلمان العودة الذي كان يمثل ظاهرة الصحوة الإسلامية في أوساط السلفيين داخل السعودية، وفي الفترة التي أعقبت حرب الخليج في نهاية القرن الماضي، وعبدالوهاب المطيري وعبد العزيز القاسم. ولأول مرة تشارك مثقفات سعوديات، ومثقفون من التيار الليبرالي بالتوقيع على البيان الذي اعتبره البعض اعتذارياً، ولا يمثل المزاج العام لأدبيات الصحوة الإسلامية في السعودية.

ويعتبر الشيخ سفر الحوالي من أكثر الشخصيات التي تلقت انتقادات من التيار السلفي، حيث انتقد البعض دعوته للحوار مع الأمريكيين في الوقت الذي يقوم فيه هؤلاء بالهجوم على الإسلام.

وحسب مصدر مطلع على أحوال الإسلاميين السعوديين، والذي تحدث لـ القدس العربي، فالعودة يواجه انتقادات في أي مجلس يذهب إليه، حيث يسأل عن البيان وطبيعته، ويذكره السائلون أحياناً بالأدبيات الجهادية التي تنطلق من أسس الدعوة السلفية والتي تحدد معايير الولاء والبراء وأن أمريكا بلد كافر وكيف يتم الحوار مع كافر.

ويذهب البعض بعيداً في توجيه النقد، لحد التعنيف وتذكير العودة بأن شخصاً كمانديلا ثبت على مواقفه لثلاثة عقود تقريباً، فكيف بالشخص الذي يدعو للجهاد والتغيير. وأشار المصدر إلى أن العودة الذي تغير كثيراً، وتخلي عن دعوته الإصلاحية التي كان يدافع عنها بعد حرب الخليج، وأصبح في نظر البعض قريباً في أفكاره من المؤسسة الرسمية، هو الشخصية المحركة وراء إصدار البيان، الذي جاء بعد فترة من صدور البيان الأمريكي. وتصدي للرد على البيان السعودي عدد من العلماء أهمهم شيخ يدعي ناصر الفهد، والشيخ علي الخضير وعدد آخر من العلماء.

وتعود أصول البيان السعودي إلى البيان الأمريكي الذي أصدره معهد القيم الأمريكية في شباط (فبراير) الماضي تحت عنوان **[علي أي أساس نقائل]**، وقع عليه ستون مثقفاً أمريكياً منهم، صموئيل هنتنغتون، وأميتاي ايتزوني، وفرانسيس فوكاياما، وخالد دوراني وعدد آخر.

ويتضمن البيان أو الورقة عدداً من المحاور منها، ما يتعلق بماهية القيم الأمريكية، التي لخصت بأربع نقاط حرمة الأفراد الذاتية، الإيمان بوجود حقائق أخلاقية شمولية، لا أحد يملك الحقيقة فرداً كان أم جماعة، وترابط القيم والحرية الدينية .

وبناء علي هذه المبادئ الأربعة يقول الموقعون انهم يقاتلون للدفاع عن أنفسنا وعن المبادئ العالمية ، ويرى الموقعون أن القيم الأمريكية في زمن الحرب تصبح ميراثاً مشتركاً للبشرية، وعلى هذا الأمل يمكن بناء المجتمع العالمي على أساس السلم والعدل. وفي فصل عن ماهية الحرب العادلة، يستعرض البيان الفكرة وعلاقتها بالإنسان، والإسلام. ويتوصل إلى نتيجة مفادها أن القتلة المنظمين بقدراتهم العالمية يهددوننا جميعاً، فإننا باسم الأخلاق العالمية للبشر، مع الوعي التام بقيود ومقتضيات الحرب العادلة، نقوم بتأييد قرار حكومتنا ومجتمعنا ضد هؤلاء بالقوة المسلحة.

ولم تصدر تعليقات كثيرة علي البيان بين المثقفين العرب والمسلمين، باستثناء مقارنة أعدها الباحث والمفكر الإسلامي منير شفيق والتي حاول فيها نقد جوهر الرواية الأمريكية عن الماضي والحاضر. وحاول شفيق ربط البيان بمجمل التاريخ الأمريكي، وعلاقته بأبناء البلاد الأصليين، وعلاقته بالعالم الخارج عنه حيث قال في نهاية مقارنته " ومن هنا لا يستطيع هؤلاء المثقفون أن يثبتوا من خلال الماضي أو الحاضر أن علاقة أمريكا بالشعوب الأخرى، وابتداءً بأقرب جيرانها، شعوب أمريكا الوسطى والجنوبية، كانت ليوم واحد أمينة للمبادئ الأربعة الأولى أو أنها احترمت ولو واحدة منها فقط". وحاول الشيخ سلمان العودة، تقديم رد شرعي علي البيان الأمريكي، ولكنه كان رداً طويلاً وفيه الكثير من التفاصيل مقارنة مع رد شفيق المختصر والوافي بالعرض.

ومن هنا فإن تأخر الرد السعودي علي الأقل القطاع النخبوي والفكري منه، كان واحداً من الانتقادات التي وجهت لهذا البيان الأخير، كما أن **الصيغة الاسترضائية** التي تمت فيها صياغة البيان السعودي، رداً علي **اللغة الفوقية** التي تميز بها البيان الأمريكي كانت واحدة من نقاط الاعتراض. ويرى مراقبون سعوديون أن بيان المثقفين يظل يدور في إطار الرواية الرسمية لأنه لم يصدر عن وجهة نظر متحررة وتملك قرارها، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار غياب الحرية الفكرية في السعودية. كما أن أسلوب البيان جاء كما يقول الاتجاه المتشدد في الحركة السلفية ليوافق العقلية الغربية. ولكن النقد الكبير علي البيان جاء حينما تم وضعه أمام الأدبيات الجهادية التي انتشرت في أنحاء العالم ولقيت اهتماماً من المراكز الفكرية والأكاديمية الغربية. فخطاب المثقفين الذي يقف وراء **تيار استرضائي** في الحركة السلفية لا يتوافق والفكر الجهادي الذي يدعو إليه التيار المتشدد في هذه الحركة. ومن هنا اعتقد البعض أن البيان جاء كمحاولة **اعتذارية** لأمريكا التي بدأت تدق طبول النصر في أفغانستان.

وعلي الرغم من اللهجة الحادة التي تميز بها الناقدون، إلا أن بعض الهيئات في أوساط المعارضة السعودية، رجحت بفكرة صدور بيان، ومن السعودية، وتشارك فيه نساء. فالبيان دل علي أن هناك إمكانية للعمل الجماعي الذي حاولت المؤسسات الحاكمة في السعودية القضاء عليه بعد حرب الخليج.

كذلك فان اجتماع ممثلين عن التيار الإسلامي والليبرالي، سفر الحوالي والعودة، جنباً إلى جنب مع سعيد طيب ومنصور الحازمي، تعتبر دليلاً جيداً علي استعداد النخب السعودية المثقفة للتعاون.

وتحفل مواقع الإنترنت بالردود الكثيرة علي بيان المثقفين السعوديين، فقد وقع أحدهم باسم لويس عطية ورد علي البيان انتقد فيه بيان المثقفين والمشايخ الذين شاركوا فيه وقال عطية في رده لكننا صدمنا... بأن شيوخنا الذين علمونا كل شيء عن المواجهة وحميتها تغيرت مواقفهم... وأصبحوا يتحدثون أن كلام أولئك المفكرين مجرد (وجهة نظر) وأنهم أي شيوخنا يقدمون (وجهة نظر بديلة) فلم يتحدث شيوخنا عن شيء اسمه (الحق) .. و(الباطل)، ولم يقولوا إننا علي حق ، بل إن الأمر لا يعدو أن يكون (وجهات نظر). وواصل الكاتب رده قائلاً ألا يدل بيانكم علي حجم المذلة التي دفعتكم إلى كتابته؟ ما الذي جعل بيان الأمريكيين قوياً وتبريراً للحرب علينا وشجاعاً، وجعل بيانكم بتلك الدرجة من الضعف؟ أليس قوتهم وهواننا عليهم؟.

وشارك عدد من العلماء علي رأسهم الشيخ علي الخضيري، خليفة الشيخ الراحل عقلاء الشيعي، ومع انهم حاولوا إيجاد العذر للمشايخ الذين شاركوا في البيان إلا انهم اعتبروه نوعاً من الدفاع والغالب أن خطابات الدفاع يشوبها **الانهزامية وترك التفصيل** والقيود المهمة التي تغير المفاهيم إلى التعميم الذي يستقطب الآخرين المعاندين فلا هم الذين جذبوهم ولا هم الذين أظهروا العزة في دينهم، وإنما أعطوا الدنيئة في دينهم وتساهلوا في أصول الدين وثوابته بقدر ما يعجب ويستهو الكفار المعاندين، ومن أجل عيون المعاندين لإرضاء من أخبر الله عنهم أنهم لن يرضوا ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم. وركز الرد على عدد من النقاط الشرعية، حيث اعتبر أن خطاب الموقعين يهدم قاعدة البراء والبغض والمعاداة للكفار. ويتنصل البيان من فكرة ذكر الجهاد وطلب الجزية وقتل المرتد. وهنا يشير عدد من النقاد أن البيان حاول إبعاد الإسلاميين عن أحداث أيلول (سبتمبر) الماضية، ويدعو للتقارب والتعايش مع الكفار، ويركز على السلام العالمي وترك الجهاد. والأهم من ذلك يري بيان المشايخ أن البيان فيه كسر حاجز المفاصلة مع الكفار وجاء في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (أنا فرق بين هؤلاء وهؤلاء). واتفق كل من انتقد بيان المثقفين السعوديين على انه يحمل في ألفاظه وسياقه العام **الذلة والصغار والمداهنة والاسترضاء لكفار محاربين**. ويبدو أن خلاف الإسلاميين، على الأقل التيار المتشدد منهم، ينبع من إدخال بعض العناصر الليبرالية التي تعرف في أدبيات السلفيين باسم العصرانيين. ومن هنا اعتبر البعض مشاركة الشيخ سلمان العودة بالبيان نوعاً من التخلي عن مبادئه الأولى، فقد كان العودة يدعو في السابق إلى حتمية المواجهة، وإلى صناعة الموت الشهادة واصبح الآن يدعو لحتمية الحوار، وصناعة الحياة من أجل الحياة .